جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم التاريخ
مقياس تاريخ المشرق الإسلامي ق2-8هـ/8-14م
د. بلال ساحلي
البريد الالكتروني: b.sahli@univ-dbkm.dz

المحاضرة الرابعة:

3- العصر العباسي الثاني: عصر تسلط القادة الأتراك 232-334هـ/847-946م:

- **خلفاء العصر العباسي الثاني:**

- 10 المتوكّل على الله، جعفر بن المعتصم (232-247هـ/847-861م).
- 11 المنتصر بالله، محمّد بن المتوكّل على الله(247-248هـ/861-862م).
- 12 المستعين بالله، أحمد بن محمّد بن المعتصم بالله(248-251هـ/862-865م).
- 13 المعتزّ بالله، محمّد، أبو عبد الله بن المتوكّل على الله(252-255هـ/866-869م).
- 14 المهتدي بالله، محمّد بن الواثق بن المعتصم بالله(255-256هـ/869-870م).
- 15 المعتمد بالله، أحمد بن المتوكّل على الله(256-279هـ/870-893م).
- 16 المعتضد بالله، أحمد بن طلحة بن المتوكّل على الله(279-289هـ/893-902م).
- 17 المكتفي بالله، علي بن أحمد المعتضد بالله(289-295هـ/902-908م).
- 18 المقتدر بالله، جعفر بن أحمد المعتضد بالله(295-320هـ/908-932م).
- 19 القاهر بالله، محمّد بن أحمد المعتضد بالله(320-322هـ/932-934م).
- 20 الراضي بالله، محمّد بن جعفر المقتدر بالله(322-329هـ/934-941م).
- 21 المتّقي بالله، إبراهيم بن جعفر المقتدر بالله(329-333هـ/941-945م).

- **أوضاع الدولة العباسية في ظل التسلط التركي:**

كان مطلع العصر العباسي الثاني امتداد للعصر الأول من ناحية قوة الخلفاء، لأن هذا العصر استهله الخليفة العاشر المتوكل ابن المعتصم (232-247هـ/847-861م)، وكان مما ميز خلافته أنه أعاد الاعتبار لأصحاب

الحديث وبالغ في إكرامهم، فأظهر السنة ورفع محنة القول بخلق القرآن، وقام بحركة تطهير فكري وسياسي لمؤسسات الدولة فأسقط رموز المعتزلة وضيق على مذهبهم الذي نفذ في أجهزة الدولة منذ عهد المأمون، فزالت دولة المعتزلة الجهميّة، ويرى المستشرق البريطاني ميور، أنّ المتوكّل على الله تقرّب إلى تيّار أهل السنّة على حساب باقي الفئات المعارضة، وعلى رأسهم المعتزلة والشيعة، فأراد ملء الفراغ الذي حدث، بإقصاء المعتزلة عن جهاز الدولة، واستعان في ذلك بعلماء الحديث مثل الإمام أحمد بن حنبل، ففي سنة (237هـ/852م) قام باستدعائه إلى سامرّاء، وتبنى المذهب الشافعي، وهو ما جعل المتوكل محل ثناء في الوسط العباسي رغم اتهامه بالنصب.

إلا أن نهاية هذا الخليفة كانت مأساوية بعد أن تعرض للقتل على يد القادة الأتراك، الذين حاكوا مؤامرة مع ابنه المنتصر، لأن والده المتوكل أراد إسقاطه من ولاية العهد لمصلحة شقيقة المعتز وهو ما لم يتقبله المنتصر، فاتفق مع القادة الأتراك على قتل المتوكل، ويبدوا أن هؤلاء القادة كانوا على غير وفاق مع المتوكل بسبب شخصيته القوية المنحرفة عن مصالحهم، فتقاطع عداؤهم للمتوكل مع سخط ابنه المنتصر عليه، وبذلك أصبح أول خليفة عباسي يتعرض للقتل، فكان اغتياله بداية دخول الدولة في نفق المؤامرات والاغتيالات والفوضى السياسية .

ونلاحظ أن صعود هؤلاء القادة الأتراك خلال ثلاثين سنة (218-247هـ/833-862م) مرت بثلاث مراحل: ففي خلافة المعتصم كانت بداية دخولهم لمفاصل الدولة، ثم في خلافة الواثق زاد نفوذهم واستحواذهم على المناصب السيادية، ثم في خلافة المتوكل تجاسروا إلى قتل الخلفاء، وهي العادة التي أصبحت تتكرر في أكثر من مناسبة، إذ أن **الخليفة الحادي عشر المنتصر(247-248هـ/862-863م)** أيضا كان مصيره القتل مثل مصير والده المتوكل، فالمنتصر كأنَّ ضميره أنبه من تآمره معهم، فصار يسب الأتراك ويقول عنهم: (هؤلاء قتلة الخلفاء) ، ورغم هيبة وشدة هذا الخليفة إلا أنَّ الأتراك نجحوا في اغتياله فلم تدم خلافته إلا سنة واحدة .

تسلط الأتراك لم يقتصر على اغتيال الخلفاء بل تخطاه إلى تعيين من يرتضونه هم فقط، فبعد قتلهم للمنتصر اتفقوا على استخلاف **الخليفة الثاني عشر المستعين(248-252هـ/863-866م)**، وكانت تجربتهم مع المنتصر سبباً في تخوفهم من ثأر أبناء المتوكل فقالوا: (متى وليتم أحداً من ولد المتوكل ... لا يبقي منَّا باقية)، لذلك اختاروا المستعين وهو ليس من أبناء المتوكل، ولكنه مع ذلك كان مجرد خليفة صوري ليس له حضور قوي، يتحكم فيه القائدين التركيين: "وصيف وبغا"، حتى قيل في ذلك:

خليفة في قفص بين وصيف وبغا .

يقولُ ما قالا له كما تقول الببغا .

ومن صور عبث الأتراك بمؤسسة الخلافة أنهم بالغوا في إهانة وإذلال الخليفة المستعين الذي كان خائفا منهم فخرج هارباً من سامراء إلى بغداد، فطلبوا منه الرجوع وأظهروا الاعتذار، ولأنهم لا يؤتمنون فإنه امتنع عن الرجوع، فقاموا بكل بساطة بإخراج المعتز ابن المتوكل من السجن وبايعوه وخلعوا المستعين، في تصرف يبين لنا قمة التلاعب

والاستهتار بمنصب الخلافة، وهو ما افضى إلى صدام عسكري بين الخليفتين استمر لأشهر، وانتهى بقتل المستعين، وهو الصراع الذي انعكس سلبا على الأوضاع العامة للدولة والأحوال الاجتماعية للرعية.

لم يكن الخليفة الجديد **المعتز (252-255هـ/866-869م)** بأحسن حال مع الأتراك ممن سبقه، خاصة انه كان صغير السن (19 سنة)، وكان تعيينه أصلا لغرض وظيفي –عزل المستعين- لا لشيء آخر، ومن سوء خلافته أنه استهلها بقتل أخيه المؤيد الذي كان ولياً للعهد، ثم وجد نفسه في ورطة مع الأتراك الذين كانوا يبتزونه ويطلبون منه الأموال ولم يكن بقي في بيوت المال شيء يدفعه إليهم، فاتفقوا على خلعه، وقاموا بجره من رجله وضربوه بالدبابيس وأقاموه تحت الشمس وطلبوا منه خلع نفسه، حتى ينصبوا مكانه خليفة جديد قد أحضروه معهم وهو المهتدي بن الواثق، فخلع المعتز نفسه وسلم الخلافة للمهتدي ثم قتلوه بعد أيام قليلة .

وبمجيء **الخليفة الرابع عشر المهتدي**(255-256هـ/869-870م) فإنه اتصف بسيرة حسنة، وكان ناقماً على الأتراك وصراعاتهم فيما بينهم لأجل السلطة، فخاطبهم قائلا: (قد بلغني شأنكم ولست كمن تقدمني ... أما دين؟، أما حياء؟، أما رعة؟، كم يكون الخلاف على الخلفاء، والجرأة على الله ...)، إلا أنه ورغم شجاعته وغيرته على مؤسسة الخلافة لم يستطع كبح قوة الأتراك وتعرض للقتل فلم تدم خلافته سوى سنة إلا خمسة عشر يوم.

ثم منذ عهد **الخليفة الخامس عشر المعتمد على الله**(256-279هـ/870-893م) عرف منصب الخلافة استقراراً نسبياً بعد تلك السلسلة من الاغتيالات والعزل، فالأتراك بعد تعيينهم للمعتمد لاحظوا عليه اشتغاله عن الرعية باللهو والملذات فلم يعتبرونه مهددا لمصالحهم، ومما يلاحظ على خلافته تراجع دور الأتراك وهو ما يفسر بقاءه في منصبه لأكثر من عشرين سنة، وكان مما ميز خلافته ظهور ثورة الزنج وسيطرتهم على البصرة، وكذلك صراعه مع أخيه الموفق، وبداية فتنة القرامطة278هـ/892م.

وقد استمر ذلك الاستقرار على رأس هرم مؤسسة الخلافة بمجيء **الخليفة السادس عشر المعتضد بالله**(279-289هـ/893-902م)، الذي كان ملكاً شجاعاً من خيرة خلفاء بني العباس، اشتغل بإصلاح الواقع العباسي فكان ذلك سبباً في تعزيز عودة الهيبة للخلافة العباسية، لكن عصره تميز بتنامي خطرين شغلا الدولة لفترة طويلة هما حركة القرامطة ودولة العبيديين، وهو ما سنتكلم عليه بشرح مبسط لاحقا .

كانت وفاة المعتضد طبيعية بعد مرضه، فاستُخْلِفَ من بعده ولي عهده ابنه **الخليفة السابع عشر المكتفي بالله**(289-295هـ/902-908م) وكانت سيرته محمودة فأحبه الناس، اشتغل بمحاربة القرامطة، إلا أنه توفي شاباً بعد مرضه، ليأتي الدور على شقيقه **الخليفة الثامن عشر المقتدر بالله**(295-320هـ/908-932م)، ونلاحظ أن فترة خلافته امتدت أكثر من عشرين سنة استهلها وله ثلاث عشر سنة من العمر، ولم يل الخلافة قبله أصغر منه، وهو الأمر الذي لم يتقبله بعض القواد والقضاة والأعيان فقاموا بخلع بيعته ومبايعة عبد الله بن المعتز، إلا أن المقتدر استطاع احتواء حركة ابن المعتز وادخله السجن، وكانت سنة استخلافه 295هـ/908م بداية نقص خلافة

بني العباس لأن بلاد المغرب بايعت بالخلافة لمهدي العبيديين بعد أن استمال المغاربة بإظهار العدل والإحسان فانحرفوا عن العباسيين منذ هذه السنة، وهرب أمير إفريقية زيادة الله بن الأغلب إلى مصر ثم العراق، وزاد خطر وفساد القرامطة، وتحرش النصارى ببلاد المسلمين، قال الذهبي: (اختل النظام كثيراً في أيام المقتدر لصغره).

ومن المصائب في خلافته هجوم القرامطة على الحجاج وسرقة الحجر الأسود سنة 317هـ/929م وبقي عندهم لأكثر من عشرين سنة، في ظل تلك الظروف المضطربة كثر تمرد الجنود على الخليفة المقتدر وأصبحت أيامه معدودة فخرج عليه القائد مؤنس وقتله سنة 320هـ/932م.

لما قُتِلَ المقتدر أحضر الجند **الخليفة التاسع عشر القاهر بالله** (320-322هـ/932-934م) وقلدوه الخلافة، ولكنهم بعد سنة انقلبوا عليه وأرادوا خلعه من منصبه، لكنه احتال عليهم ونجح في قتل قادتهم الذين دبروا له مشروع الانقلاب، وأما الجنود احتواهم بإطلاق أرزاقهم فسكنوا لخلافته، ومما ميز خلافته أنه في سنة 322هـ/934م كانت بداية ظهور آل بويه الديلم في بلاد فارس، وفي نفس السنة عاد الجند للانقلاب عليه ونجحوا في القبض عليه ثم سملوا عينيه، حتى يصبح خلعه فرضاً عن أهل الحل والعقد.

وظاهرة سمل عيون الخلفاء كان الغرض منها إخراج الخليفة عن شروط الإمامة لأنه يخرج عنها بشيئان: أحدهما، جُرْح في عدالته، وهو الوقوع في الفِسق، والثاني، نقص في بدنه، مثل نقص الحواس أو نقص الأعضاء أو نقص التصرّف، ومن جملة نقائص البدن المانعة من استمراريّة الخليفة على الحكم ذهاب البصر، فكان هذا الشرط سببًا لاستحداث الأتراك سُنَّةً سيّئة تتمثّل في ظاهرة سمل عيون الخلفاء وكان القاهر أول ضحاياهم، وكذلك سَمَلَ توزنون التركي عينَيْ الخليفة المتّقي لله، وكذلك سُمِلَ المستكفي بالله على يد معز الدولة البويهي.

بعد القاهر عَيَّنَ الجند **الخليفة العشرين الراضي بالله**(322-329هـ/934-941م)، وكان هذا الخليفة مثل الشبح ليس له من الخلافة إلا الاسم، وفي سنة 225هـ/937م صارت البلاد بين خارجي قد تغلب عليها، أو عامل لا يحمل مالاً، وصاروا مثل ملوك الطوائف، وتغلبت القرامطة، ووهنت أركان الدولة العباسية، وفي ظل هذه الظروف ظهر أمير الأندلس وقال أنا أولى الناس بالخلافة، فصار المسمون بأمير المؤمنين ثلاثة: العباسي ببغداد، وهذا بالأندلس، والمهدي العبيدي بالقيروان.

بعد وفاة الراضي بالله بويع لأخيه **الخليفة الواحد والعشرين المتقي لله**(329-333هـ/934-945م) وكان مشهوراً بكثرة الصوم والتعبد، ولكن لم يكن له من الخلافة مثل أخيه سوى الاسم، وأما التدبير فظل بيد الأتراك، فساءت أوضاع الدولة بسبب ارتفاع الأسعار وكثرة النهب، ثم انتهت خلافته مثل القاهر بعد أن قام الأتراك بسمل عينيه لتورطه في الصراعات الحاصلة بينهم من أجل السلطة، ثم قاموا بسجنه لمدة 25 سنة إلى أن مات، ليأتي من بعده **الخليفة الثاني والعشرين المستكفي**(333-334هـ/945-946م) الذي بخلافته فتح عهد جديد هو عهد تسلط البويهيين الذين دخلوا بغداد وحلوا محل الأتراك .